

المقاربة الاجتماعية لظاهرة التنمر: الأسباب والحلول المعالجة لها. (دراسة ميدانية)

*The Social Approach To Bullying: Causes And Solutions To It.
(Empirical Study)*

* سعيد قروي

المعهد العالي للحضارة الإسلامية (تونس)

saidmoon@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/09/10 ؛ تاريخ القبول: 2022/09/13 ؛ تاريخ النشر: 2022/10/28

ملخص الدراسة:

تعتبر الظاهرة الاجتماعية حقلاً دينامياً دخيلاً على السلوكيات الطبيعية لعناصر المجتمع الإنساني. إذ وجب على الباحث دراسته والغوص في آلياته، وفي ما يتضمنه من قوانين وسنن، تُفرض على أفراد المؤسسة الاجتماعية. ويظل تفعيل الظاهرة الاجتماعية خاضعاً للعلاقات بين الأفراد؛ فإذا حصل الانسجام بينهم اندثرت الظاهرة الاجتماعية، وإذا حصل الانفصال تفشّت ونمت. وتحتّم هذه الدراسة الميدانية بالبحث في ظاهرة التنمر كظاهرة اجتماعية مستتة المجتمعات العربية وخرقت أصولها وقواعدها ونواميسها. لذلك شملت هذه الدراسة التطرق للإطار النظري والمفهومي لظاهرة التنمر من المنظور الاجتماعي، والخوض في الأسباب المؤدية في تفشي ظاهرة التنمر في مدينة سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد من الجمهورية التونسية، والتطرق إلى الحلول المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة. الكلمات المفتاحية: الظاهرة الاجتماعية، التنمر، الإطار النظري والمفهومي، الأسباب، الحلول المقترحة.

Abstract:

The social phenomenon is considered a dynamic field intruding on the natural behaviors of the elements of human society. The researcher must study it and delve into its mechanisms, and the laws and norms that it includes, which are imposed on the members of the social institution. The activation of the social phenomenon remains subject to the relations between individuals; If harmony occurs between them, the social phenomenon vanishes, and if separation occurs, it spreads and grows.

This field study is concerned with researching the phenomenon of bullying as a social phenomenon that affected Arab societies and violated their origins, rules and laws. Therefore, this study included addressing the theoretical and conceptual framework of the phenomenon of bullying from a social perspective, delving into the causes leading to the spread of bullying in the city of Sidi Ali Ben Aoun, Sidi Bouzid state of the Tunisian Republic, and addressing the proposed solutions to address this phenomenon.

Keywords: The Social Phenomenon, Bullying, The Theoretical And Conceptual Framework, Causes, Suggested Solutions.

. مقدمة:

تعتبر المؤسسة الاجتماعية من قواعد الدولة وأسسها، على غرار المؤسسة الاقتصادية والصناعية والسياسية، وترتكز على العامل البشري، ويجدد مميزاتا وتتقدم الشعوب من خلال أفرادها ومدى فاعليتهم صلب الدائرة الاجتماعية، فهم حملة الأفكار التي تولد الرقي والتقدم الإنساني. ودون هذا العامل البشري لا نلتمس سوى الإبادة الحضارية والفكرية للمجتمع الإنساني. ومن ثمّ، نرى ذلك الحضيض الاجتماعي واليأس الفكري الذي يضرب الشعوب عند غياب الفاعل البشري. إلا أنّ بلورة المنظومة الاجتماعية وتصلبها وتشكلها، راجع بالأساس إلى القدرات البشرية والذهنية والمعرفية والفكرية، إذ تتقدم الشعوب والمجتمعات من خلال الطاقات البشرية التي تكتسبها.

وإنّه لمن الحقائق الجلية في راهنا الاجتماعي والحضاري، أنّ كلّ تغيير اجتماعي سواء بفعل الدينامية الداخلية أو بفعل التحديث والعولمة، تصاحبه طفرة من الظواهر الاجتماعية التي قد تنشأ على أنقاض الأبنية القديمة

أو تتطور وتتخذ أشكالاً أخرى. وبات ضرورياً الإحاطة بالمتجمع البشري من خلال تشخيص الأمراض الاجتماعية التي تصيبه، وتعقل تجانسه، وتهدد تماسكه واستقراره. ومن الملاحظ أنّ الآفات الاجتماعية ازدادت في الزمان داخل المجتمعات في العالم.

وتعتبر ظاهرة التّمنّر من الظواهر الاجتماعية القديمة المتجدّدة في المجتمعات عامّة والمجتمع التونسي خاصّة، وتتخذ هذه الظاهرة في واقعنا المعاصر أشكالاً معولة بفعل تنامي استعمال التكنولوجيات الحديثة أو تطوّر أنماط العيش، ولكنها تختلف في الدوافع والأسباب المؤدّية إليها تبعاً لاختلاف البيئة الاجتماعية للمتّمنّر وعلاقاته والمنظومة القيمية والمعياريّة التي تنشأ عليها، والتّمنّر أحد هذه الآفات التي تصيب المجتمع الإنساني.

01. إشكالية الدراسة:

يعتبر انتشار ظاهرة التّمنّر بصفة متفشّية داخل الأوساط الاجتماعية المتنوّعة، سبب من الأسباب الأساسية في تناول هذه الظاهرة الاجتماعية، ومحاولة الإحاطة بكافة الجوانب. ويهمّنا التّطرق إلى الأسباب الاجتماعية، من خلال دراسة ميدانية نحاول من خلالها جمع بيانات من داخل المجتمع المدني عبر عيّنة من الإطار التربوي من أساتذة تعليم ابتدائي وأساتذة تعليم ثانوي وقيمين وإخصائيين اجتماعيين من خلال استبانة يغلب عليها الواقعية. ومن ثمّ، الانتهاء إلى أهداف منشودة ملموسة تدرس ظاهرة التّمنّر دراسة استراتيجية تساعد على الإحاطة بالأسباب الأساسية في تفشّي هذه الظاهرة، ومدى تحطّي هذه الآفة، ومعالجتها، واقتراح حلول لفكّ الإشكالات والعوامل الشائكة المساهمة في بلورتها وانتشارها.

وخصّصت هذه الدراسة الميدانية للإحاطة بظاهرة التّمنّر في الوسط الاجتماعي من خلال جمع آراء حول هذه الظاهرة الاجتماعية مستأنسين بالأسرة التربوية التي تعان باسمرار شتى أنواع العنف ومنها التّمنّر في الوسط المدرسي وخارجه وتتأثّى أهمية الدراسة السوسولوجية للتّمنّر بكونها علاقة عدائية بين الضّحية والجّالّد نحو تحليل يرى التّمنّر فعل إنساني ناتج عن علاقات اجتماعية محدّدة تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين الأفراد في كلّ مكان من الفضاء الاجتماعي (الأسرة، المدرسة، مكان العمل، الشارع...).

وتعتبر هذه الدراسة الميدانية محاولة للإلمام بجوانب التّمنّر في الوسط الاجتماعي في معتمدية سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد من الجمهوريّة التّونسيّة باعتبارها مجالاً للبحث، وإجراء كلّ ما ينسجم مع هذه الظاهرة من أسباب ومسبّبات ومخاطر من خلال الإجابة على هذه الإشكالية الرئيسيّة:

إلى أي مدى تسهم التّوترات الأسرية في تنامي ظاهرة التّمنّر؟

وتتفرّع هذه الإشكالية الرئيسيّة إلى الأسئلة الفرعية التالية:

فيم يتمثّل الإطار النظري والمفهومي لظاهرة التّمنّر؟

ما هي العوامل الأساسية المساهمة في نشأة ظاهرة التّمنّر؟

02. فرضيات الدراسة:

تؤدّي التّوترات الأسرية والإقصاء الاجتماعي إلى تنامي ظاهرة التّمنّر:

- يُؤدّي ضعف الدّخل الشّهري للأسرة إلى تنامي ظاهرة التنمر لدى الأبناء .
- يُسهم ضعف الأرصدّة العلميّة في تفسّي ظاهرة التنمر .
- يُؤدّي التّفكّك الأسري إلى تفسّي ظاهرة التنمر .
- تُسهم طبيعة العلاقة بين الوالدين في تنامي ظاهرة التنمر .
- تُسهم الحالة المدنيّة للوالدين في تفسّي آفة التنمر .

03. الإطار النظري والمفهومي لظاهرة التنمر:

أ- منهجية وأهداف البحث:

اعتمدنا في هذه الدّراسة بالأساس على المنهج الكميّ وذلك اعتماداً على تقنية الاستمارة التي شملت بالأساس (50) متنمراً كعيّنة بحثيّة، وما يقارب 18 (سؤالاً؛ تسعة منها تستهدف البحث في الإقصاء الاجتماعي، وسبعة أسئلة تدرس التوتّرات الأسريّة وسؤالان مفتوحان يستهدفان البحث في الحلول المقترحة من الإطار الأستاذي والإداري لمعالجة ظاهرة التنمر بغية الوصول إلى معطيات إحصائيّة دقيقة.

كما تمّ الاستعانة بالمنهج الكيفي لتحليل الحلول المقترحة من الفاعلين في الوسط التربوي ومعرفة تمثّلاتهم وآلياتهم المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة خاصّة وأنّ هؤلاء هم الأكثر احتكاكاً بالمتنمرين، باعتبار الوسط المدرسي فضاء يزخر بالظواهر الاجتماعية المختلفة لأنّ المدرسة مجتمع مصعّر لا يخلو من مظاهر الصّراع والعنف والانسجام والتنافس.

أمّا الأهداف التي نرنبو إلى تحقيقها، وإن بشكل نسبي هي الآتية :

- معرفة الأسباب الرئيسيّة المؤدّية إلى ظاهرة التنمر وأشكالها في ظلّ مجتمع ما بعد حدائنا يشهد هيمنة للمعطي التكنولوجي ومزيد من الفرديّة على حساب التضامن الاجتماعي (لا ندعي في هذا البحث الكشف عن الحقيقة المطلقة لأسباب التنمر، ولا ندعي تقديم حلول جذريّة لمعالجتها بل نستأنس بما أفرزه عملنا الميداني البسيط لعننا نهندي إلى معرفة الأسباب الكبرى للظاهرة وكشف الحلول المقترحة من الإطار التربوي لمعالجتها. وتبقي الحقيقة في كبرى البحوث العلميّة التي تقوم بها مخابر تعتمد عينات بالآلاف نسبيّة، فما بالك ببحث صغير يعتمد عينّة قصديّة عددها (50) فاعلاً، هو إن شئنا محاولة لاختبار فرضيّة في مجال بحثي صغير، لا يهدف إلى تعميم النتائج بقدر ما يهدف إلى تنويع زوايا الهجوم العلمي على الموضوع المدرس ودعم الانتاجات العلميّة الغريزة في ذات الصّدّد، والتّحليل النسبي لأسباب الظاهرة وسبل معالجتها).

- الاستئناس بأراء المختصّين من إطارات تدريس وإطارات إداريّة مختصّة لمعرفة تصوّراتهم لظاهرة التنمر، وتبيّن الحلول التي يقترحونها لمعالجة هذه الظاهرة .

- معرفة العلاقة الارتباطيّة بين التوتّرات الأسريّة والإقصاء الاجتماعي من جهة وتنامي فعل التنمر من جهة ثانية.

ب- المتن النظري (اختلاف التحليل باختلاف البراديجمات السوسولوجية):

إنّ الباحث في ميدان علم الاجتماع، والمتطرق لأحد المفاهيم يستوجب عليه الخوض في براديجمين؛ الأول علم اجتماع البنية، والثاني علم اجتماع الفعل، حيث يتمخض القول بين تجاذبات الذات إلى إرادتها المطلقة، أو إلى القوى الاجتماعية المعروضة داخل المحيط الاجتماعي التي لا تملك الذات السيطرة عليها. فتكون خاضعة لموازن القوى الاجتماعية، إذ لا تخلو الذات لدى الفرد من التفاعل والتأثر بسلطة المجتمع العليا، إذ يستوجب على الفرد الخضوع لقوانين المجتمع، وما يفرضه من قيم وسنن وقوانين تسيّر الأفراد. ومن ذلك كلّ تطاول على هذه التواميس هو خرق وتعسف على المجموعة، وعلى هذا الأساس تقوم البنية الاجتماعية. إلاّ أنّه تواجدت أقوال وآراء ضدّ براديجم البنية الاجتماعية، إذ أنّه لا يمكن التوصل الاجتماعي في ظلّ القولة الاجتماعية القسرية، التي تكبل الحرّيات والأفعال. ومن ثمّ، لا يبني المجتمع الإنساني على الأفعال القسرية الحاملة لمعاني الجبر. ومن هذه النظريّة انبثق براديجم الفعل، الذي لا يقبل القولة وسجن الأفكار المترجمة إلى أفعال. ولا يمكن أن تخضع التصرفات والأفعال إلى قانون يجعلها تمدّ جذورها بالحسن أو القبح. لذلك فإنّ القبيح والحسن من تفاعلات الأفعال الذاتيّة ولا يفرضها المجتمع بحدّ ذاته.

ويمكن في هذا السياق الإشارة إلى توافق العلوم وارتباطها الوثيق والممتدّ، وهنا نلتمس نظريّة الجبر والاختيار في مسألة أفعال العباد التي انبثقت في عصر الإسلام الأوّل، وانبثقت معها فرق مثل الجبريّة (الجبريّة والقدريّة متقابلان تقابل التضادّ، وهذا التضادّ بين الفريقين حاصلًا في كلّ زمان، قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال، وأنكروا الاستطاعات كلّها وأنّ لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى. وإمّا تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال زالت الشمس ودارت الرّحى، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفت به، وهذا مذهب الجبريّة الخالصة. (عبد المنعم، الحفني، 1993، ص 135-136) والمعتزلة (ويسمّون أصحاب العدل والتّوحيد، ويلقّبون بالقدريّة والعدليّة. وأصول مذهبهم هي التّوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن خالفهم في التّوحيد يسمّى مشركًا. (عبد المنعم، الحفني، ص 358)

ولا مجال للتفرقة بين العلوم الاجتماعية والدينيّة. في بعدها الحضاري والإسلامي، واهتمّ علماء الاجتماع الأوربيّين بقضيّة العلاقة بين البنية والفعل، إذ من الضّروري أن نأخذ مسألة العلاقة بين البنية والفعل كقضيّة فكرة محوريّة في النظريّة السوسولوجيّة الجديدة، واعتبارها التجربة الصّعبة، ومسألة مركزيّة في تلك النظريّة".

(طاهر حسّو، 2016، ص 507)

وقد اهتمّ "إيميل دور كايم" (1858-1917) بالظاهرة الاجتماعية باعتبارها مثل الظواهر الطّبيعيّة، حيث يمكن إخضاعها لمنطق القاعدة والقانون. وقد حاول البرهنة على ذلك من خلال "دراسته لظاهرة الانتحار، فنزل هذه الظاهرة أو تصاعدها في المجتمعات التي درسها مرتبط بدرجة اندماج الأفراد في المجتمع؛ بحيث يمكن صياغة هذا الارتباط كآليّ؛ كلّما ضعف درجة الاندماج في المجتمع، ارتفعت نسب الانتحار، وكلّما قويت تلك الدّرجة نزلت نسبة المنتحرين في المجتمع". (عمر الزّعفوري، 2010، ص 125)

ومن ثمّ، وجب تحديد الظّاهرة الاجتماعيّة قبل تحديد وسائل البحث والكشف عنها، فكلّ ما يوجد في المجتمع لا يُعدّ من الظواهر الاجتماعيّة، ولا يعتبر منهج الحياة العاديّة من أكل وشرب ونوم وسفر من الظواهر الاجتماعيّة، فهو أسلوب حياة اجتماعي. وتطلّ الظّاهرة الاجتماعيّة شائكة في دراستها وتحليلها وكشف اللبس عنها، إذ وجب دراستها دراسة تحليليّة، وتحليل آثارها من خلال جملة الوسائل التي يستعملها المجتمع للتعبير عنها مثل القوانين والتّصوص الدينيّة وقواعد السلوك. ومن ثمّ، فالظّاهرة الاجتماعيّة، حسب منهج دور كايم، خارجة من شعور الأفراد، لأنّها تُولد قبل وجود الإنسان، وبالتالي فهي منفصلة عنه كالعقائد الدينيّة والطّقوس والقوانين فهي سابقة للوجود الإنساني، إذ يصبح الفرد في سجن هذه العادات والأعراف والتقاليد والقوانين التي سبقت وجوده. ومن ثمّ، يتغيّر الفرد والجماعة، وتطلّ الظّاهرة الاجتماعيّة ثابتة، وهذا يعني أنّ الظّاهرة الاجتماعيّة "سابقة في الوجود عند الإنسان ذاته فهي ضرب من السلوك توجد خارج شعور الإنسان". (إيميل دور كايم، 1988، ص 54)

ومن الخصائص الأساسيّة للظّاهرة الاجتماعيّة نجد الكليّة والتكرار والقهرية؛ الأولى الكليّة من خلال دراسة الظّاهرة الاجتماعيّة من المنحى الاقتصادي والتّقافي والسياسي والحضاري، لا الاجتماعي فقط. ومن ثمّ تحليل العوامل التي ساهمت في تشكيلها وصياغتها. والخاصيّة الثّانية التكرار، من خلال تعدّد الظّاهرة الاجتماعيّة وتواجدها في عديد الأزمنة والأمكنة، ممّا يوحي للباحث الاجتماعي مزيد لفت النظر والتبصّر. ومن ثمّ، المتابعة ومحاولة التّطرق لها لفكّ رموزها. والخاصيّة الثّالثة القهرية، فإنّ الظّاهرة الاجتماعيّة، تتّصف بالإلزام والقهرية، فإذا تكرّرت الظّاهرة أصبحت ملزمة وتخضع لها الأطياف الاجتماعيّة ولتداعياتها في المحيط الاجتماعي. ومن ثمّ فإنّ الانحراف عن مقاصد الظّاهرة الاجتماعيّة هو خروج عن حدودها، وخرق لها ولنواميسها. وهي "كليّة لأنّه لا يمكن فهمها ما لم نضع في الاعتبار جملة العوامل التي ساهمت في تشكيلها اقتصاديّة كانت أو اجتماعيّة أو ثقافيّة.. وهي تكراريّة لأنّها تفرض على عالم الاجتماع الانتباه إليها وملاحظتها لفرط تكرارها.. فالظّاهرة الاجتماعيّة إذا تكرّرت تصبح ملزمة وقهرية أي أنّها تلزم الجميع بالخضوع لها مادام أنّ ما يشرّع وجودها اجتماعيًا".

(عمر الزّعفوري، دس، ص 125)

ومن ثمّ، فإنّ الظّاهرة الاجتماعيّة، هي انتقال من التمثّل إلى التّفعل، ومن الشّيء إلى المعنى. فلا بدّ من التّطرق إليها من خلال دراسة الحقائق الاجتماعيّة وتفسيرها تفسيرات علميّة سببيّة من خلال الآراء الجماعيّة داخل البيئة الاجتماعيّة. وبات لزاما عدم تناول للظّاهرة الاجتماعيّة فلسفيًا وعلى مستوى اللفظ فقط، بل من الضّروريّ اعتبارها تمثّلات وأفكار تنتقل من مستوى الشّيء إلى مستوى الواقع. ومن ثمّ، حرّي القول بأنّ علم الاجتماع علم عمليّ تجاوز المستوى التّظري وغاص في المستوى العملي الاجتماعي، ودرس الظواهر الاجتماعيّة في حقيقتها وواقعيتها. إذ يكون البحث في "جميع الظواهر التي تنطوي على الخواص ذاتها وهذا ما يدفعنا إلى التّظر في الخواص الخارجيّة أي أنّه لا يتّخذ البحث إلا مجموعة الظواهر المحدّدة من قبل بعض الخصائص الخارجيّة".

(إيميل دور كايم، دس، ص 103)

ومن هذا المنظور فإنّ التّمنّر ظاهرة تنهش وحدة المجتمع وكيانه واستمراريّة حياة الأفراد وتماسكهم ووحدهم، إذ بات لزاما الوقوف على الأسباب الأساسيّة في إحداث هذه الظّاهرة من منظور وضعي لاستئصالها ومعالجتها. ومن ثمّ فإنّ التّمنّر ظاهرة اجتماعيّة دون إدراك الظّاهرة النظريّة، إذ لا بدّ من تناول هذه الظّاهرة تناولا أكاديميا من خلال دراسة ميدانيّة تحليليّة.

ج- مفاهيم البحث :

وجب التّعريف لمفهوم التّمنّر وبيان معناه، والتّمنّر في اللّغة كما ورد في لسان العرب لابن منظور "يقال للرجل السيء الخلق قد نمر وتمنّر، ونمر وجهه أي غيره وعبسه، وتمنّر له أي تغيّر وتنكّر وأوعده، لأنّ النمر لا تلقاه أبدا إلاّ متنكّرا غضبانا .. قال ابن بري معنى تمنّروا تنكّروا لعدوّهم وأصلهم من التّمنر لأنّه من أمكر السباع وأخذعها". (جمال الدين، 1956، ص 235)

والتّمنّر مشتقّ من اللّاتينيّة civilitas ويعني اجتماعي متحضّر، بينما incivilité تعني نقص التّحضّر بمعنى هو سلوك لا يحترم قواعد الحياة في المجتمع مثل: احترام الغير، النّظام العامّ، الأدب أي كلّ ما ننتظره من شخص متحضّر. (Hachette, 1992) ويختلف مصطلح التّمنّر Bullying عن مصطلح العنف Violence في معناه الاعتيادي، إذ تستخدم أعلى درجات القوّة من خلال استعمال عديد الوسائل لتحقيق العنف الشّديد. أمّا Bullying فهو أخفّ وأقلّ درجة من العنف إذ يتضمّن عنفا مشروعا أقلّ شدّة، ويكون جسديا أو معنويا. والترجمة لكلمة Bullying في اللّغة العربيّة كلمة تنمّر أو استئساد و"كلمة استئساد في اللّغة العربيّة مأخوذة من كلمة أسد والأسد هو ذلك الحيوان المفترس ملك الغابة، وذلك لسيطرته على بقيّة الحيوانات والفتك بها. وكذلك كلمة التّمنّر مأخوذة من كلمة نمر، وهو الآخر لا يقلّ عن ملك الغابة في شرّه وفتكه". (إسماعيل مفرح، 2008، ص 05)

والتّمنّر ظاهرة قديمة حديثة تواجدت في شتى المجتمعات المختلفة ومنها المتقدّمة صناعيا واجتماعيا وكذلك المجتمعات النامية، إذ يكون سلوك التّمنّر والاستقواء والتجبر منذ سنّ مبكّرة إلى أن يتلاشى ويندر في سنّ الرّشد، إذ يبدأ سلوك الاستقواء في "عمر مبكّر من الطّفولة حتّى أنّ بعضهم يراه يبدأ في عمر السنتين حيث يبدأ الطّفّل بتشكيل مفهوم أوّلي للاستقواء، ويبدأ تدريجيا ويستمرّ حتّى يصل إلى الدّروة في المرحلة الأساسيّة العليا، ثمّ يبدأ بالهبوط في المرحلة الثّانويّة، وقلّما يكون في المرحلة الجامعيّة، وباستثناء حالات السّخرية فلا يسمع عن حوادث استقواء في الجامعات والكليّات". (علي الصّبحين، محمّد فرحات القضاة، 2013، ص 07) والاستقواء مكتسب من البيئة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الفرد المستقوي، إذ يمارس طرف قوي العنف النفسي والجسدي والجنسي على طرف أضعف منه من حيث القدرات الجسميّة والدّهنيّة. ومن الضّروري التّدخل الفوري في هكذا ممارسات للحدّ منها منذ بدايتها، إذ أنّ التّدخل المبكّر وإثارة الوعي ضروريان ومهمّان من أجل وقف الاستقواء، وإنّ الحاجة ماسّة لنعلّم الطّلبة والمشاركين جميعا طرق مناسبة في العلاقات مع الآخرين". (Beane. A. L, 1992)

ومن ثمّ، فالتمنّر هو التّوجّه بالأذى والإساءة تجاه الآخرين سواء فردا أو مجموعة، بدنيا أو نفسيا أو عاطفيا أو لفظيا، ويكون من خلال التّوعّد والتّهديد والضّرب أي العنف المادي أو الجسدي، بالسّلاح أو الابتزاز أو من

خلال محاولات القتل والاعتداء وتكوين وفاق وعصابة باستعمال العنف المادي واللفظي ويندرج التحرش الجنسي ضمن التنمر. والتنمر سلوك مكتسب من المحيط الاجتماعي الذي يتعايش فيه المتنمر، وينتج عن سلوك التنمر نتائج وأبعاد وخيمة من خلال ممارسة طرف قوي الأذى النفسي والجسدي واللفظي تجاه فرد أضعف منه من حيث القدرات الجسميّة. (مجدي محمد، 2016، ص 70) ويعدّ التنمر أحد أنماط العنف اللفظي والمعنوي، من خلال تصنيف المتنمر به بأنه عديم القيمة أو غير محبوب أو غير مرغوب فيه من قبل المتنمر، يفرض عليه سلوك معيّن أو أن يكون تابعا له.

والتنمر شكل من أشكال العنف المتشعبة داخل المجتمع الإنساني ومنه التصرفات التي يراد منها التسلّط والإزعاج سواء كان فردي أو جماعي. ويمكن أن يكون غير مباشر مثل بثّ الإشاعة والكذب والغاية منه الإقصاء الاجتماعي و"يعني التنمر التصرف المقصود به الضّرر أو الإزعاج من جانب واحد أو أكثر من الأفراد. كما قد يستخدم المتنمر أفعالا مباشرة على الآخرين. والتنمر المباشر هو الذي يستخدمه الفرد ليحدث إقصاء اجتماعيًا مثل نشر الشائعات ويمكن أن يكون التنمر غير المباشر ضارًا جدًا على الفرد مثله مثل التنمر المباشر" (Olweus. D)

وهو "سلوك يحدث عندما يتعرض الفرد تعرضًا متكررًا لسلوكيات أو ممارسات عدائية من أفراد آخرين بغرض إيذائه، ويكون عادة عدم توازن في القوة، وهو إمّا أن يكون جسديًا كالضرب أو لفظيًا كالتنابز بالألقاب أو عاطفيًا كاستفزاز المشاعر أو الإساءة في المعاملة. وبالتالي فهو سلوك عدواني شديد للمراهقين، يؤدي للكثير من الأضرار ليس على الضحية فقط، وإنما يترك آثارا نفسية سلبية على المتنمر نفسه. ولذلك يتحتم تهيئة بيئة خالية من التنمر وأشكاله". (Harwood. J, Waylen. A, Herrick. D, Williams. C, and Wolke. D, p46)

والتنمر "سلسلة من الأفعال التي تشمل عدوانا بدنيًا: الضرب والضرب بالقدم والقرص والمضايقة وسلب المال والممتلكات وما إلى ذلك والعدوان اللفظي: السب، المضايقة القاسية، السخرية، التهديد، وما إلى ذلك".

(M, Underwood. K, p62. Bolton)

والتنمر "نوع من التشاجر بين فردين غير متساويين في القوة، يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد ضدّ فرد غير قادر على الدفاع عن نفسه، وقد يكون جسديًا أو نفسيًا". (Randall. P, 1997) ويتضمن التنمر "السخرية وسرقة النقود من الضحية وإساءة بعض الطلبة لأقرانهم داخل الصفّ، ويعتقد أنّ التنمر قد يشترك في بعض خصائصه مع خصائص سلوك العدوان". (Dehaan. L, 1997)

والتنمر "هجوم موجه إلى شخص آخر سواء كان عدوانا لفظيًا أم ماديًا". (Barash. D, p 115) وأجريت دراسة بغرض تقصي كيفية إدراك الأطفال للتنمر في محيطات المدرسة وكيفية اختلاف التنمر عن الغيظ، وفي هذه الدراسة عرّف التنمر بأنه "الكلمات غير المرغوب فيها، أو الأفعال الجسدية التي تجعل الشخص يشعر بالسوء". (Khosropour, 2001) والتنمر هو "التورط في الاضطهاد اللفظي أو الجسدي والتهديدات والتلاعب، ونشر الإشاعات وتدمير ملكية الآخرين وأخذ ملكية الآخر وتعمد الثأر أو الانتقام". (Espelage, 2001, p49)

(62) ويتبين تعريف التنمر على "أساس التغيرات التماثية للطفل التي تكون سببا في استخدامه للتنمر المباشر أو غير المباشر، وتتبع المسار التطوري للتنمر لدى الطفل يكشف أنّ الطفولة المبكرة هي الوقت الذي غالبا ما يستخدم فيه

التنمر المباشر ضد الأقران بسبب الافتقار إلى الوسائل التعبيرية الأخرى. ثم تتطور المهارات المعرفية اللفظية والاجتماعية، ويبدأ الأفراد في استخدام التنمر غير المباشر ضد أقرانهم، وكلما تطور الفرد في مراحل النمو يحل التنمر غير المباشر محل التنمر المباشر. وفي المراحل العليا من التعليم يكون هناك ميل واضح إلى استخدام أقل لوسائل التنمر المباشر". (Vitaro, F, Brendgen, M, Barker, E, 2006, p 12-19) ويُعرّف التنمر بأنه "نشاط إرادي واع ومتعمد يقصد به الإيذاء أو التسبب بالخوف والرعب من خلال التهديد بالاعتداء، ولا بدّ من توفر أربعة عناصر في سلوك التنمر بغض النظر عن الجنس والعمر وهي؛ عدم التوازن في القوة فالمتنمر إما أن يكون أكبر أو أقوى أو في وضع أفضل من وضع الضحية مع التية في الإيذاء، فالمتنمر معروف عنه أنه يتسبب بالألم النفسي أو الجسدي للضحية ويجد متعة في ذلك. والتهديد بأشكال أخرى تابعة للتنمر. ودوام الرعب فسبب التنمر هو الغطرسة والازدراء والاحتقار وليس الغضب". (Smith. PK, 294-303)

ومن الملاحظ أنّ التنمر يشمل عدّة عناصر وآليات ومنها عدم التوازن في الشخصية، والهجوم النفسي واللفظي والبدني والتهديد لبتّ الخوف والضيق والإيذاء في الضحية. وهو سلوك متكرر ومتواصل من نفس الأفراد خلال فترة طويلة من الزمن. ومن الوجوب اتخاذ عدّة إجراءات وأتباعها للوصول إلى تعريف مقبول للسلوك التنمري، وهي أن يكون التعريف مبنياً على نتائج أبحاث ودراسات ميدانية. ومن ثمّ فإنّ التعريف الإجرائي للتنمر هو "كلّ السلوكات العنيفة ماديّة ومعنويّة غير المعلنة التي تصدر عن فرد أو مجموعة ذكورا كانوا أم إناثا بعدد كبير من التكرارات في أماكن تقلّ فيها الرقابة تجاه الأصغر سنّاً، أو الأضعف بنية، والأكثر خجلاً، بهدف القهر والتسلط والتخويف والابتزاز، أو المساومات الجنسية، وتؤدي إلى حدوث عمليات انتقام أو تنمر معاكس أو انسحاب نهائي من الحياة العمليّة". (علي بوطاف، فاطمة الزهراء شطبي، د س، ص 75)

وينقسم التنمر إلى عدّة أنواع ومنها؛ التنمر الجسدي وهو نوع من أنواع السلوكات المنحرفة، ويكون على شكل احتكاك بين المتنمر والضحية، وذلك من خلال اللكم والدفع والتزاحم والرفس واللمس غير المؤدّب والعراك. والتنمر الانفعالي ويتمثل في كلّ أشكال السلوكات التي تلحق ضرراً بالجانب النفسي والسلوكي للضحية. ومن ضمن ما يصدر عن المتنمر تجاه الضحية نشر الإشاعات الكاذبة والمغرضة، وإبقاء بعض الأفراد خارج المجموعة، وحثّ بعض الأفراد على تشكيل عصابات لمواجهة مجموعات أخرى، وتجاهل بعض الأفراد خلال عملية التواصل، والمضايقة والإزعاج بالصوت أو النظرة أو اللمس، والاستفزاز من خلال حركات جسميّة مبهمّة وإيماءات وجهيّة غامضة. والتنمر اللفظي وهو نوع من أنواع الوشاية والاتهامات التي قد تتسبب للضحية في شتى أنواع الخوف والكرب والآلام النفسيّة. وقد يتضمّن ذلك ما يلي؛ توجيه كلمات جارحة منتهكة لحرمة الفرد، والتداء بتسميات غير لائقة، والتعليق السلبي الجارح على منظر ثياب أو جسم شخص ما، والمضايقة والتشهير والكذب والسبّ والتقليل من قيمة الفرد. والتنمر الإلكتروني يحدث ذلك من خلال الاستعمال التكنولوجي لإحدى الطرق الإلكترونيّة الحديثة والعصريّة المتاحة دون علم الآباء، لأنّ الشّخص المتنمر يتحدث باسم مستعار، وهذا النوع من التنمر يسمّى التنمر المحايد ويكون على شكل رسائل قصيرة أو صور ورسائل نصيّة، وتحمل داخل طياتها مواصفات

معرضة ومسيئة للطرف الآخر. وكذلك التنمر الجنسي وهو سلوك تنمري سواء كان جسمياً أو رمزياً، وهو مرتكز على حياة الفرد الجنسية، بحيث يستخدم هذا الجانب السلاح في وجه الضحية. ويتم ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة مثل الوسائل الإلكترونية. (علي بوطاف، فاطمة الزهراء شطبي، د س، ص 78)

04. العوامل الأساسية المساهمة في نشأة ظاهرة التنمر :

قبل الشروع في تحليل عوامل ظاهرة التنمر انطلاقاً مما استخلصناه من عملنا الميداني، وجب التذكير بفرضية بحثنا وإيضاح ملامحها للقارئ، حيث افترضنا وجود علاقة ارتباطية بين التوترات الأسرية والإقصاء الاجتماعي وتنامي ظاهرة التنمر (شمل الإقصاء الاجتماعي في بحثنا متغيرات الدخل الشهري لعائلة المتنمر، ومؤهلاته الدراسية، والوسط الجغرافي للمتنمر. فيما عينا بالتوترات الأسرية، الانسجام الأسري، والحالة المدنية للوالدين).

2.4. العلاقة السببية بين التنمر والدخل الشهري:

جدول رقم (01): يبين العلاقة السببية بين دخل عائلة المتنمر وتفشي ظاهرة التنمر لدى الأبناء.

الدخل الشهري لأسرة المتنمر	التكرارات	النسبة المئوية
من 00 إلى 400د	06	12%
من 400 إلى 800د	11	22%
من 800 إلى 1500د	17	34%
فوق 1500د	16	32%
المجموع	50	100%

تكشف المعطيات الميدانية في الجدول أعلاه عدم وجود علاقة سببية بين ضعف الدخل الشهري وتنامي ظاهرة التنمر، حيث أنّ الأرقام تكشف عن تفشي الظاهرة في صفوف العائلات متوسطة الدخل التي تضم خصوصاً الموظفين العاديين والحرفيين والتجار الصغار، وأيضاً العائلات المرفهة مادياً والتي تضم في مجملها الموظفين الساميين وكبار التجار وكبار الفلاحين وغيرهم. ويدل ذلك على انبجاس أشكال وأنماط تنشئة اجتماعية بين العائلات ضعيفة الدخل والمرفهة، حيث أنّ الفرد في العائلات ذات الدخل المتوسط والمرتفع يميل إلى التجربة والمتعوية والمغامرة، سيما وأنه يمتلك رأسمالياً مادياً يحوّل له تجاوز البحث عن الأساسيات الحياتية، وتتخذ أشكال المتعوية شعور الفرد بعلوية مكانته الاجتماعية. الأمر الذي يدفعه إلى تبخيس غيره والخط من شأنه.

يتناول بيار بورديو (Pierre Bourdieu / 1930-2002م) في أحد أهم نظرياته حول التطبع كيف أنّ الأفراد يتطبعون قيماً ومعايير اجتماعية حسب الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها، حيث أنّ الطبقات المقصية اجتماعياً تميل دائماً إلى تحقيق حاجياتها الأساسية من أكل ولباس وسكن، فيما تبحث الطبقات المرفهة عن التجربة والاستهلاك، وتبني منظومة قيمية خاصة، تمثل حاجزاً رمزياً بينها وبين الطبقات المسحوقة. وبما أنّ الأسرة هي العمود الفقري الذي يؤمن التنشئة الاجتماعية للأبناء، فإنّ الأبناء سيعيدون إنتاج ذلك الحاجز الرمزي بينهم وبين أبناء الطبقات المقصية، ويعملون على إبعادهم عن الدائرة المعيارية والقيمية لأبناء العائلات الغنية بشتى الآليات والوسائل، كالتنمر على سبيل المثال باعتباره أداة حماية وتجريح.

بهذا المعنى فإنّ الدّخل الفردي المنخفض لا يسهم في تنامي ظاهرة التّنمر لدى الأبناء، بل على العكس تماما فإنّ ارتفاع الدّخل يغدّي هذه الظّاهرة باعتبار أنّ أبناء العائلات الغنيّة يسعون إلى بناء حواجز رمزيّة تؤمّن لهم القوّة والشّعور بالفوقيّة، وتؤمّن لهم مكانة اجتماعيّة مرموقة بعيدة عن عالم أولئك المنبوذين والمقصين والفقراء والمحرومين. حيث أضحى التّنمر آليّة، يعيد من خلالها أبناء العائلات الغنيّة إعادة إنتاج ما اكتسبوه من عائلاتهم من قيم المفاخرة والاستعلاء والشّعور بالعلويّة الاجتماعيّة.

2.4. هل من رابط بين التّنمر والمؤهّلات الدراسيّة للفردي؟:

جدول رقم (02): بين العلاقة بين التّنمر والمؤهّلات الدراسيّة.

المؤهّلات الدراسيّة للمتّمر	التكرارات	النسبة المئوية
متفوّق	7	14%
متوسّط	25	50%
ضعيف	18	36%
المجموع	50	100%

تشير المعطيات الإحصائيّة إلى تركّز فعل التّنمر في صفوف الأفراد ذوي المؤهّلات الدراسيّة المتوسّطة والضعيفة، في مقابل ضعفها في صفوف المتفوّقين. ويقودنا ذلك إلى أحد المفاهيم المهمّة في علم الاجتماع المعاصر والتي بنى عليها عالم الاجتماع الألماني أكسيل هونيث "*Axel Honneth*" الذي وُلد (1949) عصارته النظريّة وهي مفهوم الاعتراف (*La Reconnaissance*) إلى حدّ اعتبر فيه أنّ العالم يتصارع ويتنافس من أجل شيء واحد ألا وهو الاعتراف. (*Axel Honneth, 2013*)

وعلى هذا الأساس فإنّ المؤهّلات الدراسيّة عملة رمزيّة مهمّة للفرد، إذ تؤمّن له الاعتراف وتضمن له حظوة بين أفراد الزّمرة، ليغدو المؤهل الدراسي قيمة اجتماعيّة في حدّ ذاتها، فيما يولّد ضعف المؤهّلات الدراسيّة حالة من الدّلّ والاحتقار، يسعى صاحبها إلى تجاوزها من خلال ابتداء طرائق وقيم جديدة. ولا نختلف كثيرا مع أكسيل هونيث في قوله "تترافق تجربة الخطّ من القيمة الاجتماعيّة مع فقد تقدير الذات، إذ لن تكون لديه أيّة فرصة، ليتمكّن من فهم نفسه بوصف كائنا يقدر لصفاته وقدراته المميّزة". (كمال بومنير، 2015، ص 245)

ومن ثمّ، فإنّ أشكال التّهميش والاحتقار وتجارب الدّلّ، وفقدان المكانة تؤدّي بالأفراد إلى ما أسماه هونيث بالموت التّفسي، حيث تصبح الهويّة الدّاتيّة مهدّدة بالهدم نظرا لفقدانها الاحترام الفردي والجماعي، وتفقد الإحساس بتقدير الذات. ومن ثمّ، يكون التّنمر شكلا مبتدعا يتجاوز به الفرد ضعف مؤهّلاته الدراسيّة، وردّ فعل على شعوره بالاحتقار سواء من أفراد الزّمرة أو من المجتمع الذي يتخذ المؤهّلات الدراسيّة، لتوزيع الموارد الرّمزيّة والقيميّة، إذ يربط المجتمع عادة سواء بكيفيّة واعية أو غير واعية بين ضعف المؤهّلات الدراسيّة والانحراف. فيطلق لفظ منحرف على كلّ الأفراد ذو المؤهّلات الدراسيّة الهزيلة.

ويطرح تنامي التّنمر لدى الأفراد ذوي المؤهّلات المنخفضة، أيضا، إشكالات تعود إلى مؤسّسة المدرسة في حدّ ذاتها. وحسب علم الاجتماع الكلاسيكي تقوم المدرسة بوظيفة إدماجيّة تضطلع بمقتضاها بدور إدماج الفرد في

الكلّ الاجتماعي، حيث تعمل المدرسة على تقويم إشكالات السلوك الغير قويم، وتؤهل الطّفل ليستبطن الأخلاق والقيم الاجتماعية ليكون عنصر بناء في مجتمعه، غير أنّ المدرسة الرّاهنة لا تشتغل في كنف التّفاعل مع محيطها الاجتماعي فهي تتعامل مع التلميذ كعنصر مجرد من كلّ العلاقات الاجتماعية، وتتجاهل دور الوسائط التكنولوجية الحديثة في التأثير على سلوك الطّفل. وصارت المدرسة مجرد فضاء إسهادي يهدف صاحبه إلى الحصول على شهادة تمكّنه من الاندماج في سوق الشغل باعتبار التشغيل قيمة اجتماعية، وهي قيمة يعمد الطّفل إلى ارتكاب كلّ أشكال الغشّ والعنف للحصول عليها وردّ الفعل عند فقدانها أو استحالتها، في حين أنّ أهداف المتعلّم في اكتساب القيم الفضلى وتقديس قيم العلم والعمل تغدو مضمحلّة.

ومعنى ذلك أنّ المدرسة المعاصرة تنظر للطّفل كوحدة منفصلة عن سياقها الاجتماعي والتّقاني والتكنولوجي دون أن تأخذ بعين الاعتبار الفوارق الاجتماعية، والتنشئة الاجتماعية، ودور الوسائط الحديثة، ممّا يسهم في تنامي وتفشي ظاهرة التّمر التي استفحلت في العصر الرّاهن.

وقد بيّنت المعطيات الميدانية أنّ (60.6%) من المتّمرين، لهم صداقات سيّئة وغير سوية، فيما شكّلت العلاقات السوية نسبة ضعيفة، إذ حضرت لدى (24.4%) فيما شكّلت النسبة الباقية (15%) من المتتوقعين على ذواتهم. وبهذا المعنى فإنّ العلاقات الغير سوية تمثّل أداة أخرى من أدوات الاعتراف، وانعدام المكانة التي فقدها الفرد بسبب ضعف مؤهلاته الدّراسية، ونراه هنا يستعيدّها من خلال قيم التّمرّد على ضوابط المجتمع ونواميسه وأعرافه، ليصبح مصدر خوف وقلق، ورمز للقوة أحيانا أخرى.

ولا يفوتنا في هذا السياق الإشارة إلى أنّ (83%) من أفراد عينتنا من سكّان المدن وتحديدا الأحياء الهامشية، فيما مثّل الباقون متساكنو الأرياف. ويعود تركّز المتّمرين في المدن، وعند الحديث عن المدن والأحياء الهامشية، وجب تسليط الضوء على مفهوم الهامشية وما يصحبه من معايير اجتماعية خاصة، فالهامشي لا يعيش في فراغ اجتماعي، لأنّ الصّراعات الاجتماعية والرّهانات غالبا ما ترتبط بتوجّهات ثقافية قد تكون مقبولة اجتماعيا أو منبوذة. ومعنى ذلك أنّ فعل التّمر الذي تقوم به بعض الفئات هو شكل مستجدّ من القيم وليدة العلاقات بين أفراد الرّزمة الذين يشتركون في الغالب في حالة الإقصاء الاجتماعي، وهو آليّة لضمان التّواجد في حلبة الصّراع الاجتماعي، ليؤمّن الإحساس بالأمن الاجتماعي. والهامشي لا يقبل بفعل تمّيشه، بل يسعى إلى تجاوز وضعيته الدّونية من خلال التّموّج في زوايا قد ينبذها المجتمع، لكنّها تؤمّن للفرد الإحساس بالقوة والسلطة. ومن الملاحظ أنّ الهامشية ضاربه في عمق الحضارة العربية الإسلامية، لكنّها تتطوّر وتتعمق وتتخذ أشكالا أخرى تؤمّن لصاحبها الإحساس بالمكانة، وعلى سبيل المثال ما سمي في العهد العبّاسي بظاهرة الشّعراء الصّعاليك الذين كانوا يرتكبون شتىّ الجرائم والسّرقة، لكنّهم يتغنّون في الآن ذاته بنصرة المستضعفين والمساكين، حتّى أنّهم كانوا يسرقون أموال الأثرياء من قومهم ويوزعون جزءا منها على الفقراء.

فالهامشية والتّمرد حالة مركّبة من التّمرّد على القيم الاجتماعية وضمان الإحساس بالأمان الاجتماعي واستعادة لمكانة فقدها صاحبها في خضمّ مجتمع له نواميسه ومعاييرها وتقييمه.

3.4 مدى إسهام التوترات الأسرية في تفشي ظاهرة التنمر في صفوف الأبناء:

جدول رقم (03): يوضح دور التوترات الأسرية في تفشي ظاهرة التنمر في صفوف الأبناء.

الحالة المدنية لوالدي المتنمر		الانسجام بين والدي المتنمر			
النسبة المئوية	التكرارات	مضمون الحالة	النسبة المئوية	التكرارات	مضمون الحالة
%66	33	يعيشان معا (زواج)	%28	14	انسجام وتفاهم
			%10	5	شجار دائم
%34	17	منفصلان (طلاق أو موت)	%62	31	بعض التوترات الحينية
%100	50	المجموع	%100	50	المجموع

حسب المعطيات الرقمية المبينة في الجدول أعلاه، لا نجد أرقاما دالة إحصائية على إسهام الانسجام من عدمه بين والدي المتنمر في تفشي هذه الظاهرة في صفوف الأبناء على اعتبار أن التوترات الحينية والتي تمثل النسبة الأكبر %66 ظاهرة عامة في جلّ العائلات تقريبا، ولا يوجد عائلة لا تنخرها الخلافات بين الحين والآخر لأن المجتمعات ما بعد صناعية والمعولمة، ليست المدينة الفاضلة لأفلاطون. في حين يوجد رقم آخر مهم نسبيا وهو وجود %34 من آباء المتنمرين في حالة انفصال ويكتسي هذا الرقم أهمية بالغة على اعتبار الدور الهام الذي يلعبه التماسك الأسري في تأمين تنشئة اجتماعية سليمة للأبناء، لأن الفراغ الذي يتركه الانفصال قد تملؤه مؤسسات اجتماعية أخرى أو فضاءات عامة كالشارع الذي يحتوي شتى الظواهر الوظيفية واللاوظيفية.

إنّ التوافق الأسري لا يسهم بصفة مباشرة في تفشي التنمر من عدمه خاصة وإننا نشهد طفرة في مؤسسات التنشئة الاجتماعية الحديثة كوسائل الإعلام التي شهدت تغييرا في الخطاب والمضمون وصارت تقدم مادة إعلامية لا تخلو من التنمر وشتى أشكال العنف. فقد كانت على بساطتها تعمل على ترسيخ قيم المجتمع في أذهان الناشئة لنحت شخصية متشعبة بمبادئ النظام الجمهوري القائم على مفاهيم الأمة والعقل والحرية والوطن وغيرها من القيم التي تسعى دولة الحداثة إلى بنائها وترسيخها. أما الخطاب الإعلامي الزاهن والإعلام الما بعد حدثي، فصار يروج قيم الاستهلاك والمتعة والقوة الجسدية، ويقدم أعمال درامية تروج لاستهلاك المخدرات والعنف، بل تقدمها بمظهر القيمة الفضلى مقابل تبخيس القيم الأخلاقية الأخرى (الاحترام، الحرية، التدين...).

ومن خلال المقابلات التي أجريت مع الفاعلين في الحقل التربوي والاجتماعي، فقد انقسمت الآراء بين جزئين تقريبا؛ جزء أول يرى من الضروري إعادة الاعتبار للأطر التقليدية، كالدين والقيم والمعايير. وجزء ثان يرى من الضروري الاهتمام بمعطى الإرشاد النفسي والاجتماعي في المؤسسات الاجتماعية.

إنّ انعدام المعايير وتهميش الأطر التقليدية التي تحدت عنها المستجوبون وليد تجربة تحديث وطنية، لم تؤمن بالانسجام والتوافق بين التقليدي والحديث، وبين التيار الأصولي والتيار الحداثي. إذ قامت الدولة التونسية بإغلاق كبرى الجوامع كجامع الزيتونة، واعتبرته عائقا أمام التحديث والتقدم الاجتماعيين. وهشت الأسرة، وشجعت على الفردانية والمصير الذاتي، فالأطر التقليدية التي كان يمرّ عبرها الفعل الاجتماعي كالمسجد والعائلة، فقدت مكانتها،

وما زاد الأمر تعقيدا تغلغل العولمة والمدّ الليبرالي، ليعزّز هذا الواقع ذوات تبتدع قيما ومعايير خاصة بها. وإفراز هويّات جديدة وذوات تاريخية يحفزها هاجس الفعل والاعتراف، ولا يقيدتها هاجس المعايير والقيم.

أما الإرشاد النفسي والاجتماعي، قد يكون مفهوما دون معنى خاصة في ظلّ ندرة الأخصائيين الاجتماعيين والتفسيين في المؤسسات التربوية وخارجها، ووجود بنية تحتية مهترئة، غير مواكبة لما شهدته البلدان الغربية من تقدّم مهول في هذا المجال. ففي فرنسا على سبيل المثال لا توجد مؤسسة دون أخصائيين، أحدهما اجتماعي والآخر نفسي. ممّا يؤمّن الاهتمام بالفرد والإصغاء إلى مشكلاته وتقديم الحلول لحالته، دون وجود ضوابط بيروقراطية مقننة، كما هو الحال في مؤسساتنا التربوية التي تقوم بتلقين الفرد بكمّ هائل من المعلومات دون الاهتمام بجوانبه النفسية والاجتماعية، ودون توفير أوقات وفضاءات للإبداع والترفيه عن الذات.

. خاتمة:

تعتبر الظاهرة الاجتماعية حقل دينامي قابل للتفعيل وإعادة الاستمرار من قبل أفراد المجتمع. وهي في علاقة تلازمية مع حالة المجتمع الإنساني؛ وكلّما تحقّق الاندماج بين الأفراد إلّا وضعفت الظاهرة الاجتماعية، وإذا حصل التنافر والانفصال تفتّشت الظاهرة الاجتماعية، وتزايد ترسيخها صلب المحيط الاجتماعي. وهي مستكنة قبل الوجود الإنساني، إلّا أنّها خاضعة للتفاعلات والعلاقات بين أبناء المجتمع؛ ونوعية العلاقات الاجتماعية محدّدة بالأساس بولادة الظاهرة الاجتماعية من عدمها.

ومواكبة الحداثة والترعة التحديثية في الغرب، والمحاولة القسرية لترسيخ مبدأ التحديث في المجتمعات العربية، مع القضاء الكلّي على الهوية العربية الإسلامية، تجلّى هذا العامل باعتباره فعّالا في استيقاظ الظاهرة الاجتماعية أو الظواهر الاجتماعية، المستكنة وراء التفاعلات الاجتماعية والنفسية لأبناء الدائرة الاجتماعية. الأمر الذي ولّد ظاهرة التّمر، وجعلها متفشية في الأوساط الاجتماعية دون وعي الفرد بكوارتها ونتائجها الوخيمة.

وصفوة القول، وحسب الدّراسة الميدانية التي أجريت، فإنّ التّمر في مدينة سيدي علي بن عون ظاهرة اجتماعية متفشية في العائلات المرفهة ومتوسطة الدخل الشهري، إذ يسعى أبناء هاتين الطبقتين إلى إعادة إنتاج ما اكتسبوه من أسرهم من قيم المفاخرة والتّبجح. ومن ثمّ، محاولة فرض الذات والشّعور بالعلوية ومنه فرض الإستقواء على الضّحية. بينما تضعف ظاهرة التّمر في وسط العائلات ذات الدخل الشهري الضّعيف. ومثّلت المؤهلات الدّراسية المتوسطة والضعيفة للمتّمر سببا في تركّز ظاهرة التّمر لإحساس المتّمر بالدّل والاحتقار، ويكون بذلك التّمر وسيلة يتجاوز بها المتّمر ضعف مؤهلاته الدّراسية. وتعتبر العلاقات غير السّوية أداة أخرى لتفشّي ظاهرة التّمر وضمان المكانة المرموقة للمتّمر في الوسط الاجتماعي. ومن ثمّ، فإنّ أعلى نسبة المتّمرين تنحدر من المدينة، وتقلّ في الوسط الرّيفي، وهذا ما يدلّ على أنّ المدن والأحياء الهامشيّة التي تعيش الإقصاء الاجتماعي هي تربة خصبة لإنبات ظاهرة التّمر وتفشّيها. وبيّنت الدّراسة الميدانية أنّ الحالة المدنيّة لوالدي المتّمر المبنيّة على الانفصال والفرقة عامل ريادي في ولادة ظاهرة التّمر، والفراغ الأسري ترصّفه فضاءات اجتماعية أخرى مثل الشّارع.

ومن ثمّ، فإنّ ظاهرة التّنمّر في مدينة سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد من الجمهوريّة التّونسيّة متفشّية بصفة نسبيّة. وحرّي على المؤسّسات الاجتماعيّة الحكوميّة الاعتناء بالجانب النفسي والاجتماعي للأفراد، من خلال تكليف الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين بتأطير الأفراد في المؤسّسات التربويّة والإداريّة، وتنظيم حلقات توعويّة وتحسيسيّة بالظواهر الاجتماعيّة التي تنخر الدائرة الاجتماعيّة، الموجهة للوسط الاجتماعي في دور الشّباب والطّفولة والثّقافة.

- قائمة المراجع:

1. إسماعيل، مفرح (2008)، الاستئساد أو التّنمّر مفهوم وممارسة لدى الطّلاب... وكيف نحدّ منه؟، منتدى التّوجيه والإرشاد، وزارة التّربية والتّعليم، السّعوديّة.
2. إيميل، دور كايم (1988)، قواعد المنهج في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة.
3. جمال الذّين، ابن منظور (2956)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج 5.
4. طاهر حسّو، الزّباري (2016)، النّظريّة السّوسيوولوجيّة المعاصرة، دار البيروني للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 1.
5. عبد المنعم، الحفني (1993)، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة، دار الرّشاد، القاهرة، ط 1.
6. علي بوطاف، فاطمة الزّهراء شطيبي (د س)، واقع التّنمّر في المدرسة الجزائريّة -مرحلة التّعليم المتوسّط- (دراسة ميدانيّة)، مجلّة دراسات نفسيّة، العدد (11).
7. علي، الصّبحين، محمّد فرحات القضاة (2013)، سلوك التّنمّر عند الأطفال والمراهقة: مفهومه، أسبابه، علاجه، مركز الدراسات والبحوث، الرّياض، ط 1.
8. عمر، الرّعفوري (2010)، محاولة لفهم الأشكال الجديدة للعنف في ضوء التّجارب التّحديّية في المجتمعات التّابعة، مجلّة إضافات، العدد (12).
9. كمال، بومنير (2015)، أكسيل هونيث فيلسوف الاعتراف، منتدى المعارف، بيروت، ط 1.
10. مجدي محمّد، الدّسوقي (2016)، مقياس السّلوک التّنمّري للأطفال، دار العلوم، القاهرة.
- 11-Axel, Honeth(2013), *La Lutte Pour La Reconnaissance, Folio Essais, N 576.*
- 12- Beane. A. L,(1992), *Bully Free Classroom, Minneapolis, MN : Free Spirit, Publishing, INC.*
- 13-Bolton. M, Underwood. K, *Bully/Victim Problems Among Middle Vhildren Stability, British Journal Of Educational Psychology.*
- 14-Dehaan. L,(1997), *Definition Of A Bully And It's Effects In The School,Bullies.*
- 15-Espelage, D. L, Asidao, C. S,(2001), *Conversation With Middle School Students About Bullying And Victimization: Schould We BE Concerned ? Journal Of Emotional Abuse,p 49-62.*
- 16-Hachette,(1992), *le dictionnaire du français,ed. ENAG, Alger.*
- 17-Harwood. J, Waylen. A,Herrick. D, Williams. C, and Wolke. D, *Common Visual Defects And Peep Victimization in Children, investigative ophthalmology & visual science.*
- 18-Khosropour, S. C, Walsh, G,(2001), *That's not teasing-That's bullying : A Study Of Fifth Graders' Conceptualization Of Bullying And Teasing. Paper Presented At The Annual Conference Of The American Educational Research Association, Seattle, WA.*
- 19-Olweus. D, *Bullying at school, Oxford, UK, Blackwell, Publusing Company.*
- 20-Randall. P,(1997), *Adult Bullyi : Perpetrators And Victims, London : Rout Ledge.*
- 21-Smith. PK, *Bullying And Harassment In Schools And Rhe Rights Of Children, Society.14.294-303.*
- 22- Vitaro. F, Brendgen. M, Barker. E,(2006), *Sibtypes Of Agressives,Begaviors : A Developmental, Perspective, International Journal, Of Behavioral Development, p 12-19.*